الإعلام والسياسة في العالم " غزو فكري أم نضج سياسي " قناة الجزيرة أنموذجا

أ/الكر محمد

جامعة الجلفة

لا شك ان العصر الذي نعيش فيه هو عصر الاعلام الجماهيري فكما يقول رايت ميلز: "ان جانبا يسيرا مما نعرف عن الحقائق الاجتماعية في العالم توصلنا اليها بأنفسنا بينما معظم التصورات و الاخيلة التي في رؤسنا عن العالم وصلت الينا من خلال وسائل الاعلام"

يعبر عنه العلامة الالماني اوتجروت :

"الاعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير و روحها وميولها و اتجاهاتها في نفس الوقت[75]

كما يعرف "انه تلك العلمية التي تهدف الى نشر و تقديم المعلومات الصحيحة و الاخبار الصادقة ، و المواضيع الهامة و الحقائق البيئية و الافكار و الاراء المنطقية للجماهير بهدف خدمة الصالح العام من المسؤولية الاجتماعية[76]

ومن هنا يثير مفهوم الاعلام جدلا كبيرا في دوره و تأثيره على الافراد و المجتمعات و الحكومات و النخب الحاكمة و بالتالي في رسم معالم الانظمة السياسية و لعل ذلك يقودنا كذلك الى الحديث عن اشكالية الاعلام و السياسة و من هنا تطرح الاشكالية حول طبيعة العلاقة بين الاعلام و السياسة في العالم العربي ؟هذا من جهة و من جهة أخرى هل يعتبر هذا التطور الاعلامي الذي تشهده الساحة العربية غزو فكري أم نضج سياسي ؟و ما موقع قناة الجزيرة من ذلك؟

---

[75].عبد اللطيف حمزة، **الإعلام له تاريخه و مذاهبه.** القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص23.

[76]. جلال فرحي، **كيف تحقق النجاح في المجال الإعلامي**. بيروت: دار الفرابي، 2006، ص13.

و من أجل الاجابة على هذه الاشكالية سنحاول التطرق الى الموضوع من خلال المحاور التالية

أولا: عوامل ازدياد أهمية الاعلام في المجتمع المعاصر
ثانيا: تشخيص واقع الاعلام في الوطن العربي
ثالثا: نتائج التطور الإعلامي على الأنظمة السياسية المعاصرة في الوطن العربي.
رابعا: تأثير التحولات الديمقراطية على العملية الإعلامية.
سادسا: قناة الجزيرة بين إرهاصات الواقع العربي و متطلبات المد الغربي.
خامسا: مستقبل العلاقة بين الديمقراطية والإعلام والأمن الفكري

أولا: عوامل ازدياد أهمية الاعلام في المجتمع المعاصر

يمكننا القول في هذا الاطار أن ثمة مجموعة من العوامل تظافرت معا خاصة في العقد الأخير من هذا القرن أدت الى ازدياد أهمية الاعلام في المجتمع المعاصر و لعل أهم هذه العوامل :

1- الثورة الديمقراطية الهائلة التي يشهدها العالم اليوم و التي ادت الى انهيار العديد من الانظمة الشمولية و تعرض البقية الى اهتزازات شديدة ،مما أدى بتراجع سياسات القمع لتحل محلها اساليب التعامل الاتصالي الجماهيري و بالتالي التحول الديمقراطي ساهم في ازدياد أهمية الاعلام في النطاق السياسي و ازداد الاعتراف بحق الاختلاف في الرأي و الاعلام
2- التطور الهائل في تكنولوجيا الاتصال و المعلومات حيث حدث تطور هائل في مجال تكنولوجيا الاتصال و المعلومات في الفترة الاخيرة و تواكب ذلك مع ازدياد حاجة المجتمع السياسي مواطنين و قادة الى معلومات حول كافة المسائل التي تشغل اهتماماتهم و قد نتج عن هذا ازدياد أهمية الاعلام بوصفه القناة الرئيسية لنقل المعلومات

3- التطورات الهائلة التي شهدها النظام الدولي المعاصر خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي و الكتلة الشرقية و انتهاء الحرب الباردة و بروز الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة مع تنامي قوى أخرى جديدة و بالتالي ظهور صراع فكري و اعلامي و استخدامه بشتى أشكاله و اساليبه كبديل عن الصراع العسكري[77]

ثانيا: تشخيص واقع الاعلام في الوطن العربي

إن معظم الحكومات في الوطن العربي و في سائر الدول النامية، تنظر إلى وسائل الإعلام كأدوات لتثبيت شرعيتها و بسط نفوذها و تمرير خطابها السياسي بغض النظر عن طموحات و هموم الجماهير، و من هنا فقد فشلت السلطة السياسية بالدول العربية في إدماج مختلف الشرائح الاجتماعية في العملية السياسية و الإقتصادية و الثقافية و لهذا نتجت النظرة الضيقة للإعلام على أساس أنه أداة من أدوات السلطة يتم توظيفها في آليات و عمليات الحكم و السيطرة و نظرا لهذه النظرة الضيقة فقد اتسم الإعلام العربي بالسمات التالية:

1. سيطرة الطابع الرسمي على الرسالة الإعلامية حيث نلاحظ التغطيات المكثفة لكل ماهو حكومي و قطاع عام و رسمي فضلا عن سيطرة الأداء الإعلامي الروتيني بالإضافة إلى أحادية الإتجاه من أعلى إلى أسفل، أي من السلطة إلى الجماهير دون مشاركة المواطنين في العملية الإعلامية و السياسية[78].
2. الطابع العام لعملية الإعلام في الوطن العربي هو الطابع السلطوي[79].
3. ضعف الإحتراف المهني الإعلامي في معظم وسائل الإعلام خاصة المرئية منها فضلا عن الرقابة و الحذف الذاتي.

---

[77]. محمد سعد أبو عامود، **الإعلام و السياسة في العالم الجديد**. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 2008، ص163.
[78].محمد نصر مهنا، **في تنظير الإعلام**. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2009، ص 30.
[79]. محمد سعد أبوعامود، **النظم السياسية في ظل العولمة**. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 2008، ص211.

4. إتساع الفجوة بين الجماهير و الإعلام، حيث فشل الإعلام في إدماج الجماهير و تمثيلها أفضل تمثيل لدى السلطة و الدفاع عن مطالبها و مصالحها، مما أدى إلى عزوف الجماهير عنه و التشكيك في مصداقيته، و بالتالي التوجه نحو الإعلام الخارجي كبديل مما يسمح بغزو فكري.
5. ضعف إدارة المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي حيث التركيز و الاهتمام بالدرجة الأولى على كسب رضا السلطة تم تحقيق الربح أو ضمان المعونة الحكومية و اعتماد القنوات العربية على استيراد المادة الإعلامية و التي عادة ما تكون غربية بعيدة عن كل التقاليد و العادات و القيم العربية والإسلامية.
6. الإعلام العربي يتسم بإمكانية و سهولة الإختراق من الخارج وبالتالي الترويج لأفكار و أجندات غربية.[80]

و عموما فإن السياسات الإعلامية في الوطن العربي ترتكز في مجملها على الجوانب السياسية و الدعائية و التحرك في دائرة الحكام و الرؤساء و غياب التوعية الثقافية و السياسية و الاجتماعية و بالتالي فقدان الرؤية الاستراتيجية.

ثالثا: نتائج التطور الإعلامي على الأنظمة السياسية المعاصرة في الوطن العربي.

إن للتطور الإعلامي في الوطن العربي انعكاسات كبيرة و مؤثرة على كل المستويات سواء على المستوى الفردي أو الحكومي او على الأنظمة السياسية ككل، في هذا الصدد يمكننا الإشارة إلى مايلي:

1. إزدياد قوة المواطن العادي نسبيا في مواجهة السلطة السياسية، من كونه أكثر إحساسا بقدرته الذاتية على مواجهة السلطة السياسية من خلال شعوره بمعايشة كل ما يجري من أحداث في نطاق العملية السياسية، و بالتالي فقد زال حاجز الغموض لديه الذي كان يكتنف مشاعر سلفه تجاه عالم السياسة.

[80] محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص31.

2. ازدياد قوة الحقوق المعنوية التي يتمتع بها المواطن في هذا العصر ،حيث لم يعد يتمسك اليوم بحق الراي اما يتمسك بحق الاتصال بمعنى حرية تداول المعلومات و بالتالي يقوم فكره على الحوار و الاقناع كضرورة من ضرورات الممارسة السياسية في عالم اليوم كبديل عن الاسلوب العنيف
3. ادى ازدياد قدرات الاداة الاعلامية و وفرة المعلومات السياسية ،خاصة في المسائل السياسية الى زوال حاجز السرية مما يحتم على النظام السياسي مصارحة المواطنين بالحقائق و الاستماع إلى آرائهم و أفكارهم، وقد نتج عن هذا الوضع التضييق من نطاق المناورة السياسية داخليا.
4. إزدياد حدة مشكلة صنع القرار السياسي فمع هذا الكم الهائل من المعلومات التي تصل إلى صانع القرار بصدد المسائل المختلفة تزداد مهمته تعقيدا سواء على مستوى تحديد المشكلة محل القرار، أو على مستوى الإلمام بمختلف عناصر الموقف كأقرب ما يكون إلى الحقيقة، أو على مستوى تحديد البدائل و المفاضلة فيما بينها لاختيار بديل يكون قرارا، الأمر الذي يؤدي إلى الحد من إنفراده بصنع القرار أو على الأقل ترشيد استخدامه للسلطات المخولة له دستوريا في هذا المجال.[81]

رابعا: تأثير التحولات الديمقراطية على العملية الإعلامية.

إن محصلة التطور الذي حدث في المجال الإعلامي بالنسبة للعملية السياسية يتمثل في الاتجاه العام نحو تقوية المواطن العادي في مواجهة السلطة السياسية في المجتمع و في نفس الوقت الحد من سلطات صانع القرار السياسي بأسباب فنية وموضوعية و هو ما يعني أن هذه التحولات قد أثرت في الإسراع من وتيرة التحولات الديمقراطية في العالم العربي، ولكن ماهو تأثير هذه التحولات الديمقراطية على العملية الإعلامية؟

[81]. محمد سعد أبو عامود، **النظم السياسية في ظل العولمة**، مرجع سبق كره، ص 233- 234.

يمكن القول بأن هذه التحولات الديمقراطية التي يشهدها العالم العربي لابد و أن تؤثر على العملية الإعلامية على صعيد المستوى الداخلي و ذلك في الجوانب التالية:

1. اتساع نطاق العملية الاعلامية و امتدادها إلى ميادين جديدة ربما لم تكن تلقى الإهتمام الكافي.
2. إزدياد إرتباط النسق الإعلامي بالنسق السياسي في المجتمع بحيث يصبح الإعلام أحد آليات العملية السياسية، سواء بالنسبة للمواطن العادي، أو لصانع القرار، وكذلك للمؤسسات السياسية الأخرى في المجتمع.
3. تعدد مستويات و أبعاد الوظيفة الإتصالية للدولة، الأمر الذي يحتاج إلى إعداد الكوادر الإعلامية المتخصصة في كل مجال و لكل مستوى و في هذا المجال يمكن أن نتصور مايلي:

الوظيفة الإعلامية و مستوياتها الآتية إعلام صانع القرار، إعلام النخبة المثقفة، إعلام المواطن العادي[82]

إن الوظيفة الثقافية للإعلام تدور في نطاق تمكين المحكوم من القدرة على التقييم السياسي، إنها تدور في نطاق عملية التثقيف السياسي بقصد توحيد الإدراك القومي من أجل تحقيق التماسك القومي[83]

4. إزدياد تأثير رجال الإعلام في الشؤون السياسية، الأمر الذي يعني أن التكوين الفكري و الثقافي لرجل الإعلام يمكن أن يلعب دورا في نطاق التأثير على العملية السياسية، من هذا تزداد درجة تشابك العلاقات بين رجل السياسة و رجل الإعلام في المجتمع المعاصر.
5. إزدياد حدة الضغوط على العاملين في الإعلام سواء الفنية أو النفسية منها.

---

[82]. محمد سعد أبو عامود، **الإعلام و السياسة في عالم جديد**، مرجع سابق، ص 173.
[83]. حامد ربيع، **الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني و إدارة التكامل القومي**. القاهرة: دار الموقف العربي، 1983، ص102.

خامسا: مستقبل العلاقة بين الديمقراطية والإعلام والأمن الفكري.

إن علاقة الارتباط بين الديمقراطية و الإعلام من جهة و الأمن الفكري من جهة أخرى علاقة تكاملية تحمل تناقضات في طياتها إذا ما أخذ في الاعتبار تأثير المتغيرات الجديدة، حيث أن النظم السياسية التي تستطيع تطوير نفسها و تتحول بشكل ديمقراطي في ظل إعلام حر تحقق أمنها الفكري إذا ما كان المجال مفتوحا للفئات و النخب على المستوى الداخلي، وفي هذا الإطار لا يمكن أن نجد قوالب ثابتة أو محددة لهذه العلاقة أو التطور المطلوب لعدة أسباب أهمها مايلي:

1. إختلاف درجة التطور الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي بين دول العالم.
2. إختلاف الظروف الموضوعية المحيطة بكل نظام من النظم السياسية المعاصرة.
3. إختلاف مدى ونطاق تأثير المتغيرات الجديدة على كل نظام ودولة.

سادسا: قناة الجزيرة بين إرهاصات الواقع العربي و متطلبات المد الغربي.

تأسست قناة الجزيرة في 1996/02/08، عندما أصدر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر مرسوما أميريا ينص على إنشاء المؤسسة العامة للقناة القطرية و التي تعرف اليوم بقناة الجزيرة برأس مال قدره خمسمائة مليون ريال قطري تمتلكها الحكومة القطرية كلها، على أن تكون مؤسسة مستقلة مقرها الدوحة، وبدأت الجزيرة بأول بث رسمي لها في 1996/11/01[84]، حيث تبث قناة الجزيرة نشرات إخبارية بعضها مفصلة و بعضها موجزة عند رأس كل ساعة تقدم نظرة مختلفة للأحداث خاصة و أنها تقول بأنها اتخذت من الحيادـــ، الموضوعية، و الدقة شعارا في تقديمها للأخبار، كما تقدم برامج متنوعة ثقافية وعلمية...إلخ.

[84]. ياسر محجوب الحسين، **الجزيرة نظرة رمادية إلى إفريقيا**. بيروت: دار الخير للطباعة و النشر و التوزيع، (ب ت)، ص105.

في الثالث و العشرين من مارس 2006 تحولت قناة الجزيرة إلى شبكة إعلامية تضم القنوات و المؤسسات التالية:

قناة الجزيرة، الجزيرة مباشر، الجزيرة الرياضية، الجزيرة الناطقة باللغة الإنجليزية، الجزيرة الوثائقية، الجزيرة أطفال، الجزيرة نت، مركز التدريب و التطوير...إلخ.

ولقد أدت التحولات التي أحدثتها الجزيرة في المشهد الإعلامي و في توجهات الرأي العام العربي إلى إيجاد مناخ سياسي وإجتماعي تعززت فيه المطالب بتوسيع مجال الحرية والديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان بعدما صارت شاشات التلفزيون تتناقل ما يحدث من تحركات واحتجاجات.

إن الأهداف المعلنة من طرف مؤسسي قناة الجزيرة تتمثل فيمايلي:

1. تقديم قطر كنموذج جديد للاعلام الديمقراطي الحر.
2. إيجاد الإعالم السياسي المستقل- و في هذا الإطار فقد تم رفض طلب العضوية الذي تقدمت به للإنضمام إلى إتحاد الإذاعات و التلفزيونات العربية، وذلك بدعوى أن القناة لم تحترم ميثاق الشرف العربي و الأخلاق الإعلامية في عملها، و ذلك في إشارة منه إلى جرأة الجزيرة للمواضيع الحساسة لتلك الدول التي لم تتعود على هذه المنهجية الإعلامية إلا في وسائل الإعلام الغربية و بالتالي فإن منحى القناة أخذ بعدا آخرا.
3. الإرتقاء بالإعلام العربي و ذلك من اعتقادهم أن هبزط مستوى القنوات العربية ينحصر في سببين رئيسيين هما:

أ. ضعف البرامج السياسية والإخبارية.

ب. رغبة أكثر القائمين على هذه المؤسسات الإعلامية بتغييب المشاهد العربي بهذه البرامج الترفيهي المنوعة.[85]

4. منافسة القنوات الغربية الأخرى.

من كل هذه المعطيات السؤال المطروح هو: هل يمكن اعتبار قناة الجزيرة كامتداد للمفاهيم و القيم الغربية أم انها ثمار لجهود تحول ديمقراطي و نضج سياسي، إن المتتبع للأحداث الأخيرة يرى تأثر قناة الجزيرة بالمد الغربي من خلال مباركة مختلف الثورات العربية التي تجاوزت في بعض الأحيان أهدافها الجوهرية من خلال الدعم المطلق للدول الغربية، وفي هذا الإطار يبقى الجدل دائرا حول ما إذا كان من نقل الحقيقة إن وجدت هو خدمة مصالح الشعوب أم أنها تأتي في إطار تحقيق مصالح غربية لتغيير بعض الأنظمة السياسية العربية.

خاتمة

و في الأخير فإن تطوير الإعلام العربي وفق ما يتوائم مع متطلبات العصر و الأحداث التي يعيشها عالمنا العربي حيث أضحى للإعلام من قنوات و أنترنت (شبكات التواصل الاجتماعي) أهمية كبرى في كبرى في تغيير الأنظمة السياسية، و لذلك وجب تطوير الإعلام بما يخدم الأفراد و المجتمع على حد سواء من خلال ما يلي:

- إيجاد درجة ملائمة من التنسيق بين السياسات الإعلامية على مستوى الأقطار العربية.
- تطوير مضامين الرسائل الإعلامية العربية وفق ما يتماشى مع القيم و العادات و الثقافة العربية
- إعادة بناء الهياكل الأساسية في الوطن العربي.
- أما فيما يخص العلاقة بين هذه المؤسسات الإعلامية و السلطة السياسية، فلابد من تحريرها من كافة القيود السياسية التي تعوق قيامها بأدائها

[85]. فيصل بلجاسم، **إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الإعلامية بالتطبيق على قناة الجزيرة**. بيروت: دار المعرفة، 2008، ص 469

لوظائفها في المجتمع العربي، خاصة وأن هذه القيود لم يعد لها مبرر في عصر الاتصال، حيث أن ما يمكن أن تحجبه السلطة السياسي من معلومات و أخبار عن وسائل الإعلام في الداخل يصل بالفعل إلى المواطن من خلال قنوات الاتصال الخارجية.

- تطوير الفكر الإعلامي العربي و تخليصه من الأفكار العقيمة و تقبل الرأي و الرأي الآخر.

هذه هي أهم الأسس التي نراها ضرورية لخدمة الإعلام و تطويره في إطار علاقته مع النظام السياسي

قائمة المراجع :

1. أبو عامود،محمد سعد، **الاعلام و السياسة في عالم جديد** .الاسكندرية:دار الفكر الجامعي،2008
2. أبو عامود،محمد سعد، **النظم السياسية في ظل العولمة** .الاسكندرية:دار الفكر الجامعي،2008
3. الحسين،ياسر محجوب ،**الجزيرة نظرة رمادية الى افريقيا** .بيروت :دار الخبر للطباعة و النشر والتوزيع.(ب ت)
4. العيسوي،ابراهيم، **التنمية في عالم متغير** ،القاهرة :دار الشروق ،ط3 2003
5. بن جاسم ،فيصل ،**ادارة الجودة الشاملة في المؤسسات الاعلامية بالتطبيق على قناة الجزيرة** .بيروت :دار المعرفة،2008
6. حمزة ،عبد اللطيف، **الاعلام له تاريخه و مذاهبه** .القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ،2002
7. ربيع ،حامد ،**الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني و ادارة التكامل القومي** .القاهرة :دار الموقف العربي ،1983
8. عبد الوهاب حسن عشماوي ،محمد، **دور الصحف في ادارة الازمات الامنية** :الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات ،2009
9. فرحي،جلال ، **كيف تحقق النجاح في المجال الاعلامي** .بيروت :دار الفرابي ،2006.
10. مهنا ،محمد نصر ،في تنظير الاعلام .الاسكندرية :مؤسسة شباب الجامعة ،2009.